الكلية: الآداب

القسم او الفرع: اللغة العربية

المرحلة: الدراسات العليا الماجستير

أستاذ المادة: أ.د. ليث قهير عبد الله

اسم المادة باللغة العربية: (توجيه القراءات القرآنية)

اسم المادة باللغة الإنكليزية: (Directing Quranic readings)

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: (توجيه ما قرئ بجعل الفاعل مفعولًا، وحذف الفاعل)

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: (Directing what was read by making the subject the Object, and deleting the subject)

توجيه ما قرئ بجعل الفاعل مفعولًا، وحذف الفاعل

قول الله تعالى: (بِمَا حَفِظَ اللَّه)[1].

قرأَ الجمهور[2]: {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}، برفع لفظ الجلالة كونه فاعلًا للفعل (حَفِظَ)، ومعنى: {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}، أي: حفِظَهُنّ اللهُ، أو بِحِفْظِ اللهِ إيّاهَا[3].

قال الفرّاء: (وقوله: {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}، القراءة بالرّفع، ومعناه: حافظات لغيب أزواجهنّ بما حفظهنّ اللَّهُ حين أوصى بهنّ الأزواجَ)[4].

وذكر النّحّاس قولًا قريبًا من قول الفرّاء، إذ قال بعد ذكر الآية: (أي: حافظات لمغيب أزواجهنّ بحفظ اللهِ -جلّ وعزّ- وتسديده، وقيل: بما حفظهنّ اللهُ في مهورهنّ وعشرتهنّ، وقيل: بما استحفظهنّ اللهُ إيّاهنّ من أداء الأمانات إلى أزواجهنّ)[5]، وذهب إلى هذا القول أبو اللّيث السّمرقنديّ[6]، وأبو القاسم النّيسابوريّ[7]، وفخرُ الدّين الرّازيّ[8]، وعبد الرّحمن الثّعالبيّ[9].

ولخّص الخطيب الشّربينيّ ما قيل من أقوال في تفسير هذه الآية، إذ قال: (أي: بما حفظهنّ اللهُ حين أوصى بهنّ الأزواج في كتابه، وأمر رسول الله - صلّى اللهُ عليه وسلّم- فقال: ((استوصوا بالنّساء خيراً))[10]، أو بما حفظَهنّ اللهُ وعصمهنّ ووفقهنّ لحفظ الغيب، أو بما حفظهنّ حين وعدهنّ الثّوابَ العظيمَ على حفظ الغيب، وأوعدهنّ بالعذاب الشّديد على الخيانة)[11].

([1]) سورة النّساء من الآية:34.
([2]) ينظر معاني القرآن للفرّاء: 265/1، وجامع البيان: 296/8، ومختصر ابن خالويه:26، والمبسوط في القراءات العشر:179، وزاد المسير: 402/1، والكامل في القراءات:527.
([3]) ينظر جامع البيان: 296/6.
([4]) معاني القرآن: 265/1.
([5]) إعراب القرآن: 212/1.
([6]) ينظر بحر العلوم: 300/1.
([7]) ينظر إيجاز البيان عن معاني القرآن: 238/1.
([8]) ينظر مفاتيح الغيب: 10 /71.
([9]) ينظر الجواهر الحسان: 292/2.
([10]) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-: ((واستَوصُوا بالنّساءِ خَيرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقنَ مِن ضلع، وإنَّ أَعوَجَ شَيءٍ في الضِّلعِ أَعلاه، فَإِن ذهبتَ تُقِيمُهُ كسَرتَهُ، وإن تَرَكتَهُ لَم يزلْ أَعوجَ؛ فاستوصوا بالنّساء خيرًا)). صحيح البخَاريّ 34/7.
([11]) السّراج المنير: 300/1.

وفي (مَا) على هذه القراءة ثلاثةُ أوجه[12]:

الوجه الأوّل: أنّها مصدريّة، والمعنى: بحفظ اللَّه إيَّاهُنَّ أي: بتوفيقه لهنّ، أو بالوصيّة منه تعالى عليهنّ، وهو قول أبي إسحاق الثّعلبيّ[13]، ومكّي القيسيّ[14]، والزّمخشريّ[15]، وابن عطيّة في أحد قوليه[16]، والرّازيّ في أحد قوليه[17]، والقرطبيّ كذلك[18]، واختاره أبو حيّان، إذ قال: (وقرأ الجمهور: برفع الجلالة، فالظّاهر أن تكون (ما) مصدريّة، والتّقدير: بحفظِ اللَّهِ إيّاهُنّ)[19].

والوجه الثّاني: أن تكُونَ بمعنى: الّذي، والعائد محذوفٌ، أي: بالَّذي حفظه اللَّهُ لَهُنَّ من مهورِ أزواجِهِنَّ، والنّفقة عليهنّ، وهو قول أبي زكريّا الفرّاء[20]، وأبي إسحاق الزّجّاج[21]، والنّحّاس[22]، وأبي القاسم الكرماني في أحد قوليه[23]، وابن عطيّة في أحد قوليه[24].

وقد فصّل الرّازي القول في هذين الوجهين، إذ قال: ((ما) في قوله: {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}، فيه وجهان:

الأول: بمعنى: الّذي، والعائد إليه محذوف، والتّقدير: بما حفظه اللهُ لهنّ، والمعنى: أنّ عليهنّ أن يحفظن حقوق الزّوج في مقابلة ما حفظ اللهُ حقوقهنّ على أزواجهنّ، حيث أمرهم بالعدل عليهن وإمساكهن بالمعروف وإعطائهنّ أجورهنّ، فقوله: {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}، يجري مجرى ما يقال: هذا بذاك، أي هذا في مقابلة ذاك.

والوجه الثّاني: أن تكون (ما) مصدريّة، والتّقدير: بحفظ الله، وعلى هذا التّقدير ففيه وجهان:

الأوّل: أنّهنّ حافظات للغيب بما حفظ اللهُ إيّاهنّ، أي: لا يتيسّر لهنّ حفظٌ إلّا بتوفيق الله، فيكون هذا من باب إضافة المصدر إلى الفاعل.

والثّاني: أنّ المعنى هو أنّ المرأة إنّما تكون حافظة للغيب بسبب حفظهنّ الله، أي: بسبب حفظهنّ حدودَ اللهِ وأوامرَه، فإنّ المرأة لولا أنّها تحاول رعاية تكاليف الله وتجتهد في حفظ أوامره لما أطاعت زوجها، وهذا الوجه يكون من باب إضافة المصدر إلى المفعول) [25].

([12]) ينظر معاني القرآن للفرّاء: 265/1، ومعاني القرآن وإعرابه للزّجّاج: 47/2، والكشف والبيان: 303/3، ومشكل إعراب القرآن: 197/1، والتّبيان في إعراب القرآن: 354/1.

([13]) ينظر الكشف والبيان: 303/3.

([14]) ينظر مشكل إعراب القرآن: 197/1.

([15]) ينظر الكشّاف: 538/1.

([16]) ينظر المحرّر الوجيز: 47/2.

([17]) ينظر مفاتيح الغيب: 71/10.

([18]) ينظر الجامع لأحكام القرآن: 170/5.

([19]) البحر المحيط: 624/3.

([20]) ينظر معاني القرآن: 265/1.

([21]) ينظر معاني القرآن وإعرابه: 47/2.

([22]) ينظر إعراب القرآن: 212/1، ومعاني القرآن: 78/2.

([23]) ينظر غرائب التّفسير: 295/1.

([24]) ينظر المحرّر الوجيز: 47/2.

والوجه الثّالث: من أوجه توجيه (ما) على هذه القراءة أن تكون (مَا) نكرة موصوفة، والعائد محذوفٌ أيضًا، كما تقرّر في الموصولة، بمعنى: الَّذِي، وهو قول أبي البقاء العُكْبَريّ في أحد أقواله، إذ قال: (في (ما) ثلاثةُ أوجه: بمعنى الّذي، ونكرةٌ موصوفةٌ، والعائدُ محذوفٌ على الوجهينِ، ومصدريّةٌ)[26].

وقرأَ أبو جعفر يزيد بن القعقاع[27]:{بِمَا حَفِظَ اللَّهَ}بنصب لفظ الجلالة، وهي من القراءات المتواترة[28].

واختلف علماء التّفسير واللّغة في هذه القراءة على مذهبين[29]:

أحدهما: وهم الّذين وقفوا من هذه القراءة موقف الموجّه فقط دون ترجيح أو مفاضلة بينها وبين القراءة الأولى، ومن أصحاب هذا المذهب، أبو الفتح عثمانُ بنُ جنّي[30]، وأبو إسحاق الثّعلبيُّ[31]، ومكّي القيسيّ[32]، وأبو القاسم الكرمانيُّ[33]، وأبو محمّد البغويُّ[34]، والزّمخشريُّ[35]، وابن عطيّة[36]، وابن محمّد الجوزيُّ[37]، والقرطبيُّ[38]، والبيضاويُّ[39]، وأبو حيّان الأندلسيُّ[40]، وابن هشام الأنصاريّ[41].

وهؤلاء لهم في توجيه نصب لفظ الجلالة أربعة أقوال[42]:

القول الأوّل: قول أبي إسحاق الزّجّاج- في أحد قوليه- إذ قال: (تأويله - واللَّه أعلم - بالشّيءِ الّذي يحفظ أمرَ الله ودينَ اللهِ)[43]، فتوجيهه مبنيّ على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وتبعه أبو الفتح بن جنّي، إذ قال:

([25]) مفاتيح الغيب: 71/10.
([26]) التّبيان في إعراب القرآن: 354/1.
([27]) هو يزيد بن القعقاع، أبو جعفر المخزوميّ المدنيّ القارئ، أحد القرّاء العشرة تابعيّ مشهور كبير القدر، ويقال: اسمه جندب بن فيروز وقيل: فيروز، وكان من المفتين المجتهدين، توفّي في المدينة في سنة (132هـ)، تنظر ترجمته في غاية النّهاية في طبقات القرّاء: 382/2.
([28]) ينظر معاني القرآن للفرّاء: 265/1، وجامع البيان: 296/8، وإعراب القرآن للنحّاس: 452/1، ومختصر ابن خالويه: 26، والمبسوط في القراءات العشر:179، والمحتَسب: 188/1، وزاد المسير: 402/1، والكامل في القراءات:527.
([29]) ينظر المحتسَب في تبيين وجوه القراءات: 188/1، والكشف والبيان: 303/3، و الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1313/2، والكشّاف: 538/1.
([30]) ينظر المحتسَب في تبيين وجوه القراءات: 188/1.
([31]) ينظر الكشف والبيان: 303/3.
([32]) ينظر الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1313/2.
([33]) ينظر غرائب التّفسير: 295/1.
([34]) ينظر معالم التّنزيل: 612/1.
([35]) ينظر الكشّاف: 538/1
([36]) ينظر المحرّر الوجيز: 58/2.
([37]) ينظر زاد المسير: 402/1.
([38]) ينظر الجامع لأحكام القرآن: 170/5.
([39]) ينظر أنوار التّنويل: 73/2.
([40]) ينظر البحر المحيط: 624/3.
([41]) ينظر مسائل في إعراب القرآن: 8، و9.
([42]) ينظر معاني القرآن وإعرابه: 47/2، والمحتسَب في تبيين وجوه القراءات: 188/1، والهداية إلى بلوغ النّهاية: 1313/2.
([43]) معاني القرآن وإعرابه: 47/2.

(هو على حذف المضاف؛ أي: بما حفظ دينَ الله، وشريعةَ اللهِ، وعهودَ الله)[44]، وتبعهما أبو القاسم الكرمانيّ[45]، وابن الشّجريّ[46]، والقرطبيُّ[47].

القول الثّاني: قول أبي إسحاق الثّعلبيِّ، إذ قال: (وقرأ أبو جعفر بفتح الهاء، ومعناه: بحفظ من الله في الطّاعة، وهذا كقوله عليه السّلام: ((...احفظِ اللهَ يحفظْكَ...)) [48])[49]، وهو القول الثّاني الّذي ذكره الزّجّاج[50]، وتبعه مكّي القيسيُّ[51]، وأبو محمّد البغويُّ[52]، وابن عطيّة[53]، وابن محمّد الجوزيُّ[54].

القول الثّالث: قول الزّمخشريِّ، إذ قال: (وقرئ: {بِمَا حَفِظَ اللَّهَ} بالنّصب ... أي: حافظات للغيب بالأمر الّذي يحفظ حقَّ اللهِ، وأمانة الله، وهو التّعفّف والتّحصّن والشّفقة على الرّجال والنّصيحة لهم)[55]، وتبعه أبو حيّان الأندلسيُّ[56].

القول الرّابع: أن يكون لفظ الجلالة (الله) فاعلًا، ولكنّه نصب لفهم المعنى وأمن اللّبس، ذكره ابن هشام الأنصاريّ، في توجيه قراءة النّصب في مسألة: أين الفاعل في قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدنيّ: {بِمَا حَفِظَ اللَّهَ}، بنصب اسم الله -عزّ وجلّ-؟، فذكر أنّ الجواب من وجهين، أحدهما:(أن يكون اسم الله تعالى فاعلًا، ولكنّه نصب لفهم المعنى، فإنّه من كلامهم أنّ الفاعل ربمّا نصب إذا أمن الإلباس كقولهم: (كَسرَ الزّجاجُ الحجرَ)، و(خرقَ الثّوبُ المسمارَ) -رويا برفع (الزّجاج) و(الثّوب)، ونصب (الحجر)، و(المسمار)-... وعلى هذا فيتّحد مع قراءة السّبعة، والمعنى: عليهما بحفظ الله لهنّ، والمفعول محذوف، كما في قوله تعالى: {...وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ...}[57]. الثّاني: أن يكون ضميرًا مستترًا في حفظ، وفي مرجعه وجهان:

([44]) المحتسَب في تبيين وجوه القراءات: 188/1.
([45]) ينظر غرائب التّفسير: 595/1.
([46]) ينظر أمالي ابن الشّجريّ: 521/2.
([47]) ينظر الجامع لأحكام القرآن: 170/5
([48]) من حديث عبد الله بن عبّاس عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- أنّه قال : ((يا غلامُ احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدهُ تُجاهك...)). ينظر مسند الإمام أحمد487/4.
([49]) الكشف والبيان: 303/3.
([50]) ينظر معاني القرآن وإعرابه: 47/2.
([51]) ينظر الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1313/2.
([52]) ينظر معالم التّنزيل: 612/1.
([53]) ينظر المحرّر الوجيز: 58/2.
([54]) ينظر زاد المسير: 402/1.
([55]) الكشّاف: 538/1.
([56]) ينظر البحر المحيط: 625/3.
([57]) سورة الأحزاب من الآية:35.

أحدهما: النّسوة المذكورات وذلك باعتبار المعنى دون اللّفظ، أي: بما حفظ هو أي: بما حفظ من ذكر كما جاء خبر النّساء: ((صوالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره، أدعاه على زوج في ذات يده))[58]، أي: أحنى من ذكر وأدعى من ذكر.

والثّاني: (ما) على أن تقدّر موصولة واقعة على دينهن، أي: حافظات للغيب بالّذي حفظ الله من دينهن)[59].

وقد ردّ ابنُ هشام هذا الوجه، إذ قال: (وأمّا المِثَالان[60]؛ فلأنّهم نصبوا فيهما الفاعل ورفعوا المفعول، ولا يلزم من جواز ذلك نصب الفاعل إذا انفرد عن المفعول؛ لأنّ نصبه حينئذ يؤدّي إلى خلوّ الكلام من مرفوع ألبتّة)[61].

وردُّه هذا قد ينطبق على المثالين- كما ذكر- ولكن لا ينطبق على قراءة أبي جعفر؛ لما بيّنته من أقوال العلماء فيها، أضف إلى ذلك أنّها قراءة متواترة، والله تعالى أعلم.

والمذهب الثّاني: وهم الّذين وقفوا من هذه القراءة موقف النّاقد، أو المرجّح، أي ترجيح الرّفع على النّصب، ومن هؤلاء أبو جعفر الطّبريّ، إذ قال: (والصّوابُ من القراءة في ذلك ما جاءت به قرَأَةُ المسلمين من القراءة مجيئًا يقطع عذرَ من بَلغه ويُثبّتُ عليهُ حجّته، دون ما انفرد به فشذّ عنهم، وتلك القراءة ترفع اسم (الله) تبارك وتعالى: {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}، مع صحّة ذلك في العربيّة وكلام العرب، وقبح نصبُه في العربيّة؛ لخروجه عن المعروف من منطق العرب؛ وذلك أنّ العربَ لا تحذف الفاعلَ مع المصادر، من أجل أنّ الفاعل إذا حُذف معها لم يكن للفعل صاحبٌ معروف)[62].

ثمّ يأتي من بعده أبو جعفر النّحاس؛ ليرجّح قراءة الرّفع، إذ قال: (الرّفع أبين، أي: حافظات لمغيب أزواجهنّ بحفظ الله -جلّ وعزّ- وتسديده)[63].

واختاره أبو القاسم الهذليّ كذلك، إذ قال: ((حَفِظَ اللَّهَ) بنصب الهاء أبو جعفر، الباقون بالرّفع وهو الاختيار)[64].

والّذي أراه أنّ ما ذهب إليه أبو جعفر الطّبريّ، وأبو القاسم الهذليّ، يحتاج إلى تأمّل ولا سيّما أنّ قراءة أبي جعفر قراءة متواترة، ويبدو أنّهما اعتمدا في توجيه قراءة النّصب على من قال بأنّ(ما) مصدريّة، وحينئذٍ يبقى الفعل بلا فاعل، ولم يلتفتا إلى التّوجيهين الأخيرين في كونها بمعنى: الّذي، أو نكرة موصوفة، وهو ما ذكره أكثر العلماء إذ ذكروا أنّ في(مَا) -على هذه القراءة- ثلاثةَ أوجه[65]:

([58]) ينظر صحيح مسلم: 1958/4، رقم الحديث (2527).
([59]) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن:8، و9.
([60]) وهما: كسر الزّجاجُ الحجرَ، وخرقَ الثّوبُ المسمارَ.
([61]) أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن:8، و9.
([62]) جامع البيان: 297/8.
([63]) إعراب القرآن: 212/1.
([64]) الكامل في القراءات العشر:527.
([65]) ينظر التّبيان في إعراب القرآن: 354/1، والبحر المحيط :624/3، والدّرّ المصون: 670/3.

الوجه الأوّل: أنّها بمعنى: الّذي، وهو قول الزّمخشريّ[66]، واختاره ابن عطيّة[67]، وابن الشّجريّ[68]، والباقوليّ[69]، والبيضاويّ[70]، وهو الظّاهر عند أبي حيّان[71].

والوجه الثّانِي: أنّها نكرةٌ موصُوفَةٌ، وفي (حَفِظَ) ضمير يعُودُ على (ما)، أي: بما حفظ من البرِّ والطّاعة، ولا بدّ من حذفِ مضافٍ تقديره: بما حَفِظَ دينَ اللَّه، أو أمرَ اللَّه؛ لأنَّ الذَّات المقدَّسة لا يحفظها أحَدٌ، وهو قول أبي البقاء العُكْبَريّ في أحد أقواله[72].

والوجه الثّالث: أن تكونَ(ما) مصدريّة، والمعنى: بما حَفِظَنَ اللَّهَ في امتثال أمره، وساغَ عودُ الضّمير مُفردًا على جمعِ الإناثِ؛ لأنَّهنَّ في معنى الجنس كأنّه قيل: فمن صلح، فعاد الضَّميرِ مفردًا بهذا الاعتبارِ، وهو قول أبي إسحاق الثّعلبيّ، إذ قال: (و(ما) على القراءتين مصدريّة)[73]، وهذا الوجه -الّذي اختاره أبو إسحاق الثّعلبيّ- هو الّذي دفع أبا جعفر الطّبريّ؛ إلى أن يخطّئ القراءة وصاحبَها، وأبا القاسم الهذليّ كذلك، الّذي ردّ القراءة الثّانية[74].

إلّا أنّ هذا الوجه قد رَدّه الكثير من العلماء، ومنهم أبو القاسم الكرمانيّ، إذ قال: (لا تحتمل المصدر؛ لأنّه يبقى الفعل بلا فاعل)[75]؛ لذا ردّ أبو الحسن الباقوليُّ قول أبي الفتح بن جنّي، فيما ذهب إليه، إذ قال: (بالنّصب، على أنّ (ما) بمعنى: الّذي، أي: بالشّيء الّذي حفظ أمرَ الله، فلا تكون (ما) مصدريّة، كما ذهب إليه عثمان في (المحتسب)؛ لأنّه يبقى: (حفظ) بلا فاعل)[76]، والحقّ يقال: إنّ ابن جنّي لم يصرّح في كتابه (المحتسب) بأنّها مصدريّة بل اكتفى بذكر توجيه قراءة نصب لفظ الجلالة، إذ قال: (هو على حذف المضاف؛ أي: بما حفظ دين الله وشريعة الله وعهود الله)[77].

ويرى أبو البركات ابن الأنباريّ أنّ جَعْل (ما) ها هنا مصدريّة فاسدٌ من جهة الصّناعة اللّفظيّة، وإن كان صحيحًا في المعنى؛ (لأنّ (ما) المصدريّة حرف، وإذا كانت حرفًا لم يكن في (حَفِظَ) ضمير عائد إليها، لأنّه لا حظّ للحرف

([66]) الكشّاف: 538/1.
([67]) المحرّر الوجيز: 58/2.
([68]) أمالي ابن الشّجري: 521/2.
([69]) إعراب القرآن: 417/2.
([70]) أنوار التّنزيل: 72/2.
([71]) البحر المحيط: 625/3.
([72]) التّبيان في إعراب القرآن: 354/1.
([73]) الكشف والبيان: 303/3.
([74]) ينظر معاني القرآن للفرّاء: 265/1، وغرائب التّفسير: 295/1، والمحرّر الوجيز: 58/2، وأنوار التّنزيل: 73/2، والبحر المحيط: 625/3.
([75]) غرائب التّفسير: 295/1.
([76]) إعراب القرآن: 417/2.
([77]) المحتَسَب في تبيين وجوه القراءات: 188/1.

في عود الضّمير؛ فيبقى (حَفِظَ) بلا فاعل، والفعل لا بدّ له من فاعل، وذلك محال؛ فوجب أن تكون بمعنى: الّذي)[78].

لذا فإنّ في توجيه هذه الآية على هذه القراءة سعةً على ما بيّنته من أقوال العلماء؛ فلا يحقّ لأحد أنّ يخطّئ قارئها؛ لأنّها قراءة متواترة مشهورة، ومن الغريب أنّ أبا البقاء العُكْبَريَّ، قد ذكر هذه القراءة في كتابه (إعراب القراءات الشّواذّ)[79]، مع أنّها كما قلت-قراءة متواترة، والله تعالى أعلم.

([78]) البيان في غريب إعراب القرآن: 252/1.
([79]) ينظر: إعراب القراءات الشّواذّ: 384/1.